

معالم المنهاج النبوي في إرساء القيم الدبلوماسية

The features of the Prophet's curriculum in establishing diplomatic values

أ.د. هشام قريسة

Pr. Grissa Hichem

جامعة الزيتونة، تونس

Grissahichem@yahoo.fr

ط. د. بن تركي محمد¹**ED. Benterki Mohammed**

جامعة الزيتونة، تونس

bentorislem@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022 /10/20 تاريخ القبول: 2022.12.18 تاريخ النشر: 2022/12/25

ملخص:

تهدف هذه المقالة إلى إبراز المنهاج الذي يجب أن يتبعه الدبلوماسي المسلم وذلك من خلال البحث في سيرة قدوة البشرية: محمد صلى الله عليه وسلم، ليرتد القواعد والضوابط الدبلوماسية التي وضعها نبينا من خلال أقواله وأفعاله.

فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم معلماً لأصحابه يعلمهم ويرشدهم كيف تكون الدعوة إلى الله من خلال الدبلوماسية مع الغير، سواء داخل المجتمع الإسلامي أم خارجه، فتكون من ذلك منظومة من القواعد والآداب والسلوكيات، أهمها: الدقة في اختيار الدبلوماسيين الممثلين للإسلام، تخصيصهم سواء أكانوا وافدين أو مرسلين، وكذا اختيار الوقت المناسب لممارسة الدبلوماسية.

كلمات مفتاحية: المنهاج، النبوي، القيم، الدبلوماسية، المعلم.

Abstract

This article aims to highlight the curriculum that a Muslim diplomat should follow by researching the biography of the example of humanity: Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, to highlight the diplomatic rules and controls established by our Prophet through his words and actions.

¹ - اسم الباحث المرسل

The Prophet, may God's prayers and peace be upon him, was a teacher to his companions, teaching them and guiding them how to call to God through diplomacy with others, whether inside or outside the Islamic community. From that, a system of rules, etiquette and behavior was formed, the most important of which is: the accuracy in choosing diplomats who represent Islam, immunizing them, whether they were arrivals or dispatchers, as well as choosing the appropriate time to practice diplomacy.

Keywords The curriculum, the Prophet, values, diplomacy, landmarks.

1. مقدمة:

إن الناظر في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، القولية والفعلية ليجد منظومة متكاملة من القيم والمبادئ التي تهدي الإنسان للمناهج الصحيح الذي يمكنه من أداء مهمة الخلافة على الأرض على الوجه الأمثل، سواء في علاقته مع خالقه عز وجل، أو مع الخلق، مسلمهم وكافرهم، قريهم وبعيدهم.

والإنسان بصفة عامة يتعرض في حياته لأصناف من الناس، تختلف طبائعهم، سواء على مستوى تفكيرهم، أو على مستوى عاداتهم في جميع المجالات، لذلك نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغه لرسالة الإسلام وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، يراعي المقام ويوجه الخطاب حسبه، بحيث يخاطب كل فرد بما يصلح أن يخاطب به، سواء لحاله، أو مركزه، أو مستواه العلمي، والاجتماعي، وذلك لتبليغ ما هو مأمور بتبليغه على أكمل وجه صلى الله عليه وسلم، وقد قال فيما هو معلوم مشهور: "ألا هل بلغت اللهم فاشهد".

وقد سعى هذا البحث المتواضع، إلى إبراز بعض معالم الدبلوماسية النبوية، باعتبار كونها، عنصراً أساسياً في دعوتة صلى الله عليه وسلم. عسى أن يجد فيه الدبلوماسي المسلم اليوم أمودجا لما يجب عليه أن يسلكه في علاقاته الدبلوماسية مع الآخر، كيفما جنسه، أو دينه.

2. التعريف بأهم مفردات الموضوع (المعالم - المنهاج).

1.2 المعالم لغة:

المعالم لغة: يدور معناها حول الأمارات والعلامات التي تدلّك على الشيء، يُقَالُ تَعَرَّفْتُ الشَّيْءَ بِعَلَامَاتِهِ، وَأَمَارَاتِهِ، وَسِمَاتِهِ، وَأَثَارِهِ، وَرُسُومِهِ، وَأَيَاتِهِ، وَشِبَاهِهِ، وَأَشْرَاطِهِ، وَمَنَاسِمِهِ، وَرَوَاسِمِهِ، وَلَوَائِحِهِ، وَطُرُزِهِ، وَنَصَبْتُ فِي الْمَفَازَةِ أَعْلَامًا، وَأَرَامًا، وَصُؤًى، وَمَنَارًا، وَهِيَ مَا يُدَلُّ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ مِنْ حِجَارَةٍ وَخَوْهَا (إبراهيم، 1905م، ج 2، ص: 215-216).

2.2 المنهاج لغة:

أما "المنهاج"، فهناك ثلاثة ألفاظ تستعمل فيه: "النهج" و"المنهج" و"المنهاج"، وكلها يقصد بها الطريق، (ابن منظور، 1999م) ج 1، ص: 57، ذكر ابن فارس لهذه المادة أصليين، أولهما، وهو المقصود هنا: "النَّهَج: الطريق، وَنَهَجَ لِي الْأَمْرَ: أَوْضَحَهُ، وَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْمَنَهِاجِ، وَالْمُنْهَجُ: الطَّرِيقُ أَيْضًا، وَالْجَمْعُ الْمَنَاهِجُ". (ابن فارس، 1979م، ج 5، ص361).

لكن "المنهج" أغلب استعماله في الطريق الفكري، وأغلب استعمال "النهج" في الطريق مطلقا، وأغلب استعمال "المنهاج" في الطريق العملي الذي له أصل فكري، ولكن الذي هو في البؤرة في لفظة المنهج هو الطريق الفكري، أي الكيفية النظرية التي يتم وفقها الوصول إلى حقائق معينة.

- أما "المنهاج" فهو الطريقة العملية التي يسار عليها للوصول إلى مقاصد بعينه ا.
- فإذا ركبنا الأمر وقلنا " معالم المنهج النبوي "، يصير الأمر تلقائيا أن المقصود به هو الآمارات التي تدل على المنهج المثالي في "التفكير" وفي "التعبير" وفي "التدبير" فإذا قلنا: "المنهاج"، انصرف إلى منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم.
- وحين نقول " معالم المنهج النبوي في إرساء القيم الدبلوماسية "، نقصد به: الدلائل النبوية للطريقة المثلى في إقامة العلاقات الدولية.

3. مشروعية الحوار الدبلوماسي مع المسلم أو غير مسلم.

إن المتدبر فيما جاء في القرآن الكريم من قصص الأنبياء مع أقوامهم، وما وقع بينهم من حوارات، ليدرك أهمية هذه الوسيلة في الحصول على المبتغى في جميع مجالات الحياة، سواء السياسية أو الدينية أو الاجتماعية، وهو دليل واضح على مشروعيتها، وأنه واجب شرعا خصوصا في الدعوة إلى الله عز وجل، وقدم لنا القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار المسمى اليوم [الحوار الدبلوماسي]، منها ما دار بين موسى عليه الصلاة والسلام وبين فرعون عدو الله، وقصة قارون مع قومه، وقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح.

من الأدلة القرآنية على ذلك قوله تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [النحل: 125].

يقول ابن كثير: "وقوله: { وَجَادِثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين، وحسن خطاب، كقوله تعالى: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } [العنكبوت: 46]، فأمره تعالى بلين الجانب، كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون بقوله: { فُتُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [طه: 44]". (ابن كثير، 1420هـ-1999م، ج4، ص: 513).

فهذه الآية تبين بوضوح مشروعية الحوار الدبلوماسي مع الآخر الذي يؤدي إلى إقناع المخالف، سواء أكان كافرا أو مسلما، وإقامة الحججة عليه، وهذا هو المطلوب من المسلم، سواء كان نبيا، أو دبلوماسيا، أو رسولا.

أما من السنة النبوية:

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: ((إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب)) متفق عليه، (البخاري م.، 1414هـ-1993م، ج2، ص:544).

مما يبيّنه الحديث في يخص مشروعية الحوار الدبلوماسي النبوي:

أولاً: وجوب بعث الدعوة إلى الله، وهاذ من خصائص ولي الأمر، يجب على ولي أمر المسلمين أن يبعث الدعوة إلى الله في كل مكان، كل مكان يحتاج إلي الدعوة، ثانياً: أنه ينبغي أن يُذكر للمبعوث حال المبعوث إليه، حتى يتأهب لهم، وينزلهم منازلهم، لئلا يأتيهم على غرة، فيوردون عليه من الشبهات ما ينقطع به، ويكون في هذا مضرة عظيمة على الدعوة، ثالثاً: أنه إذا كان المدعو فاهماً للخطاب، فإنه لا يحتاج إلى شرح، فإنه قال: " أن تدعوهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله " ولم يشرحها لهم، لأنهم يعرفون معناها، لسانهم لسانٌ عربي، لكن لو كنا نخاطب بذلك من لا يعرف المعنى، وجب أن نفهمه المعنى، لأنه إذا لم يفهم المعنى لم يستفد من اللفظ، ولهذا لم يرسل الله تعالى رسولاً إلا بلسان قومه ولغتهم حتى يبين لهم. (العثيمين، 1426هـ، ج2، ص:504-502).

4. الدقة في اختيار الدبلوماسيين الممثلين للإسلام.

كان اختياره صلى الله عليه وسلم للسفراء والمبعوثين من أفضل الرجال، قائماً على مواصفات رباهم عليها، من التحلي بالعلم والفصاحة، والصبر والشجاعة، والحكمة وحسن التصرف، وحسن المظهر، وذلك من أجل القدرة على أداء المهمة التي وكلوا بها على أكمل وجه وفي أمثل صورة.

فاختار النبي . صلى الله عليه وسلم " دحية الكلبي " ، وأرسله إلى هرقل عظيم الروم .

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة إلى كسرى عظيم الفرس، وكان له دراية بهم ولغتهم، وكان ابن حذافة مضرب الأمثال في الشجاعة ورباطة الجأش، (الحجى، 1420هـ، ص281).

وأرسل صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك مصر حاطب بن أبي بلتعة، وقد قال فيه ابن حجر في الإصابة: كان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية، وكان له علم بالنصرانية، ومقدرة على المحاورة. (ابن حجر، 1995) ج2، ص5.

وقد قام حاطب بدعوة المقوقس إلى الإسلام، وبين له قرب النصارى من المسلمين وأن محمدًا هو الذي بشر به عيسى عليه السلام.

وهؤلاء الصحابة الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لهم من النباهة والحصافة ما سارت بذكره الركبان، ومن البراعة وحسن التصرف ما ذاع واشتهر.

يقول ابن حجر في الإصابة عن "حاطب بن أبي بلتعة": " كان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية، وكان له علم بالنصرانية، ومقدرة على المحاورة". (ابن حجر، 1995 ج2، ص5).

يقول ابن حجر في الإصابة عن دحية: " كان يُضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته". (ابن حجر، 1995 ج2، ص:321).

وكان دحية مع حسن مظهره، فارسا ماهرا، وعليما بالروم لغتهم وعاداتهم .

يقول أحمد أحمد الغلوش: تخير النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه رضي الله عنهم الأعراف بدينه، الجميل في خلقته، الكريم في خلقه، القوي في شجاعته، الأمين في عمله ونشاطه، الحليم في صبره، الداهية في قوله وعمله، وأرسلهم فرادى لمواجهة ملوك الأرض وشعوبها، ودعوتهم إلى الله تعالى.

وقد حمل هؤلاء الصحابة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك ورؤساء الدنيا، ولكنهم ما يكونوا مجرد حاملين للرسائل، وإنما كانوا دعاة، يحملون دينهم، ويعملون له، ويدعون إليه بالحسنى، ويردون عنه زيف الضالين، وشبهه المخرفين.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيهم بالخلق الكريم، والتعامل السهل، يروي البخاري بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لأصحابه: "يسروا ولا تعسروا إنما بعثتم ميسرين لا معسرين". (البخاري م.، 1414هـ-1993م: ج1، ص: 89).

يَحْتُمُّهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَصْلٍ عَظِيمٍ فِي دَعْوَتِهِمْ وَهُوَ التَّيْسِيرُ بِمَا رَخَّصَ فِيهِ الشَّارِعُ لَا التَّسَاهُلَ الَّذِي تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَاتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وَجْهِ الْقَصْدِ لَا الْخَطَأَ، وَأَنَّهُمْ لَا يَدْعُونَ إِلَى التَّشْدِيدِ عَلَى النَّاسِ فِيمَا رَخَّصَ اللَّهُ فِيهِ وَفِيمَا لَهُ حُلُولٌ شَرِيعَةٌ.

ويروي البخاري أيضًا بسنده عن أبي سعيد بن بردة عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن وقال لهما: "يسرا ولا تعسرا، بشرا ولا تنفرا، تطاوعا ولا تحتلغا"، (البخاري م.، 1414هـ-1993م: ج1، ص: 1104).

يقول ابن حجر: "كان ذلك شأنه صلى الله عليه وسلم في حق كل من بعثه إلى جهة من الجهات". (ابن حجر ا.، 1379هـ، ج1، ص: 324).

وحين ننظر إلى أعمال هؤلاء السفراء وأقوالهم ندرك دورهم في الدعوة إلى الله تعالى، ونعلم بيقين أن هؤلاء السفراء لم يكونوا رجالا عاديين، وأنهم تميزوا بعدة صفات أهمها:

أ- الفهم الدقيق للإسلام، وإحاطتهم التامة بكل ما نزل من القرآن الكريم وبكل ما حدث به صلى الله عليه وسلم.

ب- خبرتهم الواسعة بالجهات التي ذهبوا إليها، وبالناس الذين تحدثوا معهم، ولذلك كانوا يتكلمون معهم، ويناقشونهم في عقائدهم حديث الخبر الذي يعرف حقائق الشيء ظاهراً وباطناً ويدرك حاجته، ومراميه.

ج- تحليهم بحسن الخلق، والصبر الجميل ومراعاة حق مخاطبيهم في الفهم والمعرفة ولذلك كانوا يشرحون، ويوضحون ويحييون على أي تساؤل يوجه إليهم.

- د- اتصافهم بسرعة مواجهة المواقف المفاجئة، وحسن الحيلة، وبذلك تخلصوا من الانفعال والعصبية، وتمكنوا من تحقيق الغاية التي ذهبوا إليها.
- هـ- تمتعهم بحسن الفهم، وحسن الخطاب، وحسن العرض، ولذلك كانوا يتكلمون مع من يحدثهم في مسائل هامة، في بداهة عالية، وهدوء رصين، ودقة ملتزمة بتعاليم الإسلام.
- وصدقهم في الاعتقاد، ولذلك وفوا لإيمانهم، وحافظوا على حقوق محدثيهم وعرضوا قضيتهم بكل صدق، ووضوح، بلا تردد أو مداراة، وكانوا دعوة عملية صريحة.
- ز- شجاعتهم الشخصية النابعة من ثقتهم في الله، واعتزازهم بالانتساب إليه جعلهم يؤكدون صدق الإسلام وإن خالف ما عليه الناس ويناقشون الملوك والرؤساء وهم فرادى، وسقط أبهة الملك، وقوة السلطان.
- إن هؤلاء الرجال هم نماذج الدعاة في العالم كله، وقد تمكنوا من نشر الإسلام في الناس، لحسن خلقهم، وسعة معارفهم، وبلاغه خطابهم، وجمال عرض قضيتهم.
- ونلاحظ من حركة الدعاة في العالم، وحملهم لرسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدى تفاعل المجتمع كله بالإسلام، وطاعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوحيده في إطار تعالم الدين، وتحقيق المصالح الحقيقية للناس أجمعين. (غلو، 2004: ص 517).
- ومنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعمل خالد بن الوليد على الحرب منذ أسلم، وقال: ((إن خالد سيف الله على المشركين)). (ابن تيمية، 2019م، ص: 19).
- وفي هذا يقول ابن تيمية - رحمه الله - : "لأنه - أي خالد بن الوليد - كان أصلح في هذا الباب من غيره، وكان أبو ذر رضي الله عنه أصلح منه في الأمانة والصدق، ومع هذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا أبا ذر، إني أراك ضعيفا، وإني أحب لك ما أحب لِنفسي، لا تأمرنَّ على اثنين ولا تؤلِّين مالَ يتيم)). (غلو، 2004)
- والمأمل في الحديث يجد أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي أبا ذر عن الإمارة والولاية، لأنه رآه ضعيفا في هذا المجال.

5. اختيار الوقت المناسب لإنشاء وممارسة العلاقات الدبلوماسية.

فقد جاءت هذه البعوث بعد التمكين والاستقرار لحال الإسلام والمسلمين، "فلما رجع الرسول من صلح الحديبية، ورأى سرعة إسلام الأفراد والقبائل، وجد أنه قد آن الوقت لتعميم الدعوة إلى الإسلام في خارج جزيرة العرب، فاختار لذلك الغرض رُسُلَهُ من تجار المسلمين، الذين سبق أن رحلوا إلى البلاد التي يريد دعوةً ملوكها إلى الإسلام ممن يَعْرِفون وعاداتهم"، (محمد، دون سنة، ص: 284).

اختيار الوقت المناسب من أهم الوسائل التي يمكنها أن تساعد في إنجاح العلاقات الدبلوماسية التي تجرى بين الدول، بحيث يمكن كاستعراض نقاط القوة الكامنة، و تستطيع أن تعرض مشاريعك وإمكانياتك أو عرض شراكتك على الدول، واختيار التوقيت المناسب هو سنام ذلك كله، وهو ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم، لم يرسل الرسل والسفراء إلى حكام الدول، إلا بعد التمكين والاستقرار لحال الإسلام والمسلمين.

6. الحصانة الدبلوماسية للرسول:

كان من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يؤمن الرسول الوافد إليه في ماله ونفسه، وهي ما يصطلح عليها علماء القانون بالحصانة الشخصية، من ذلك أنه لا يجبس الرسل عن الرجوع إلى قوم هم بل إنه يأمرهم أن يرجعوا، ولو اختاروا الإسلام كما حدث مع الحسن بن علي أبي رافع الذي ذكر أن قريشا بعثته فلما أتى النبي قال: "وقع في قلبي الإسلام فقلت يا رسول الله لا أرجع إليهم، فقال: "إني لا أخيس بلبعهد، ولا أحبس البرد ارجع إليهم فإنك ان في قلب كالذي فيهال أنفا رجع"، ثم ذهب إلى قريش وبعد ذلك رجع إلى المدينة وأسلم (ابي داود، دون سنة" لدغش، 2014).

كما كان يؤمن رسله الذين يوفدهم للملوك والأمراء من خلال ما تتضمنه الكتب التي يحملونها إليهم، ومن ذلك ما جاء في كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى التميمي يقوله: ((أما بعد، فأني أذكرك الله - عز وجل - فإنه منين صحف إنما ينصح لنفسه، وإنه من يُطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسل يقد أننوا عليك خيراً)) (ابن القيم، 1994م).

7. اتخاذه صلى الله عليه وسلم خاتماً:

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن العجم لات قبل إلا الكتاب المختوم، فاصطنع له خاتماً، مراعاة منه صلى الله عليه وسلم لحال المبعوث لهم واحترام ثقافتهم، روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى العجم، قيل له: إن العجم لا يقبلون إلا كتاباً عليه ختم. فاصطنع خاتماً، فكأني أنظر إلى بياضه في يده" (ابن سلطان، 2002م ج: 7، ص: 796)، وهذا مما يزيد للكتاب المبعوث به قوة، ما يُصطلح عليه ب: (سلطة التوقيع).

8. تقديم الترغيب على التهيب

إن من طبيعة النفس البشرية الإقبال والإدبار، والقوة والضعف، وأن من النفوس من لا يصلحها إلا الترغيب، ومن النفوس من لا يردعها ويهدبها إلا التهيب. فقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة إلى كسرى عظيم الفرس كما ذكر (الحجى، 1420هـ، ص: 281). ومما ورد في ما قال في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإنما عليك إثم الجوس" (غلوش، 2004 ص: 517). والمتأمل في هذه الرسالة يلحظ حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الترغيب قبل التهيب.

9. الإقناع العقلي باستخدام الحوار مع مراعاة حال المبعوث إليهم واحترام

ثقافتهم. (الصلاحي، 2019).

في رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم للملوك فوارق دقيقة مؤسسة على حكمة الدعوة، روعي فيها ما يمتاز به هؤلاء الملوك في العقائد التي يدينون بها، (والخلفيات) التي يمتازون بها، فلما كان هرقل والمقوقس يدينان بالوهية المسيح كلياً أو جزئياً، وكونه ابن الله، جاءت في الكتابين اللذين وجها إليهما كلمة (عبد الله) مع اسم النبي - صلى الله

عليه وسلم - صاحب هاتين الرسالتين، فيبتدئ الكتابان بعد التسمية بقوله: «من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم» وبقوله: «من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط» بخلاف ما جاء في كتابه - صلى الله عليه وسلم - إلى كسرى أبرويز، فإكتفى بقوله: «من رسول الله إلى عظيم الفرس». وجاءت كذلك آية (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 64] في هذين الكتابين، وما جاءت في كتابه إلى كسرى أبرويز لأن الآية تخاطب أهل الكتاب الذين دانوا بالوهية المسيح، واتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم، وقد كان هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية والمقوقس حاكم مصر قائدين سياسيين، وزعيمين دينيين كبيرين للعالم المسيحي، مع اختلاف يسير في الاعتقاد في المسيح هل له طبيعة أم طبيعتان، (غلو، 2004 ص: 523).

ولما كان كسرى أبرويز وقومه يعبدون الشمس والنار، ويدينون بوجود إلهين، أحدهما يمثل الخير وهو يزدان، والثاني يمثل الشر وهو أهرمن، وكانوا بعيدين عن مفهوم النبوة والتصور الصحيح للرسالة السماوية، جاءت في الكتاب الذي وجه إلى الإمبراطور الإيراني عبارة: «وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيًّا.

وقد كان تلقي الملوك لهذه الرسائل يختلف، فأما هرقل والنجاشي والمقوقس، فتأدبوا، وتلطفوا في جوابهم وأكرم (النجاشي والمقوقس رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأرسل المقوقس هدايا منها جاريتان كانت إحداهما مارية أم إبراهيم ابن رسول الله، وأما كسرى إبرويز فلما قرئ عليه الكتاب مزقه وقال: (يكتب إليّ هذا وهو عبدي؟) فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «مزق الله ملكه».

10. أسلوب المهجر: وهو ما يسمى اليوم بقطع العلاقات الدبلوماسية.

يقول ابن تيمية: إذا أطلق الحجر الشرعي فإن المراد به نوعان، الأول: ترك المنكرات وعد مشهودها، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: 68] [4]، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((المهاجر من هجر ما نهى الله عنه)) (البخاري م.، 1414هـ-1993م ج1، ص9).

والثاني: العقوبة عليها على وجه التأديب، وهو هجر من يظهر المنكرات، حتى يتوب منها، كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، في الموقف المشهور لكعب بن مالك -رضي الله عنه- وأصحابه حينما تخلفوا عن غزوة تبوك، فهجرهم صلى الله عليه وسلم وأصحابه، حتى أنزل الله توبتهم (ابن تيمية ت.، 2005 ج: 28 ص: 203).

والمعيار في ذلك هو تحقيق المصلحة، فمتى كان الحجر مصلحة وردعاً للمهجور شرع ذلك، وإن كان فيه مفسدة وصد له حُرْم هَجْرُهُ.

11. خاتمة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم معلماً لأصحابه يعلمهم ويرشدهم كيف تكون الدعوة إلى الله من خلال الدبلوماسية مع الغير، سواء داخل المجتمع الإسلامي أم خارجه، فتكوّن من ذلك منظومةً من القواعد والآداب والسلوكيات أهمها:
-الدقة في اختيار الدبلوماسيين الممثلين للإسلام، وتحصينهم سواء أكانوا وافدين أو مرسلين، وكذا اختيار الوقت المناسب لممارسة الدبلوماسية.
-قطع العلاقات الدبلوماسية و المعيار في ذلك هو تحقيق المصلحة، فمتى كان قطع العلاقات فيه مصلحة وردعاً للمهجور شرع ذلك، وإن كان فيه مفسدة وصد له حُرْم هَجْرُهُ.

- تقديم الترغيب على التهيب، لميل البشرية للترغيب.

-إستخدام أسلوب الإقناع العقلي في العلاقات الدبلوماسية عند الحوار مع مراعاة حال المبعوث إليهم وكذا احترام ثقافتهم .

-إننا اليوم في حاجة ماسة إلى تتبع هذه المعالم الدبلوماسية النبوية في علاقتنا مع الدول والمجتمعات ، خصوصا فيما نراه اليوم من الهجمة على الإسلام والدول العربية ، من تشويه الصورة، وتخويف الناس من الإسلام ومن تعاليمه.

-إن المنهاج الدبلوماسي النبوي مع أهل الكتاب وعموم المشركين يدل دلالة واضحة على ما يجب أن تكون عليه العلاقات الدبلوماسية مع غير المسلمين والمسلمين من باب أولى .

قائمة الإحالات:

1. ابن فارس أحمد. (1979م). مقاييس اللغة. ، دار الفكر ، دون بلد النشر.
2. ابن منظور جمال الدين. (1999م). لسان العرب.. بيروت، لبنان.
3. احمد ابن عبد الحليم ابن تيمية. (2019م). السيادة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية. بيروت: دار المعرفة.
4. أحمد ابن علي ابن حجر. (1995). الإصابة في تمييز الصحابة. بيروت: دار الكتب العلمية.
5. احمد ابن علي ابن حجر. (1379هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.
6. أحمد أحمد غلوش. (2004). السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني. دون بلد النشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
7. اسماعيل ابن عمر ابن كثير. (1420هـ-1999م). تفسير القرآن العظيم. دار طيبة للنشر والتوزيع.
8. اليّازجيّ إبراهيم. (1905م). نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد. مصر: مطبعة المعارف.
9. تقي الدين ابو العباس ابن تيمية. (2005). مجموع الفتاوى. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
10. رحيمة لدغش. (5, 9, 2014). معاملة السفراء في الاسلام والأسرى في القانون الدولي وفي الاسلام. مجلة الباحث للدراسات الاكاديمية ، الصفحات 214-229.

11. رضا محمد. (دون سنة). محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. دون بلد النشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.
12. سليمان ابن الأشعث ابي داود. (دون سنة). سنن ابي داود. بيروت: المكتبة العصرية-صيدا.
13. عبد الرحمن علي الحجي. (1420هـ). السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها (المجلد دون طبعة). دمشق، سوريا: دار ابن كثير.
14. علي الصلابي. (2019). <http://alsallabi.com/article/928>. تم الاسترداد من الموقع الرسمي للدكتور علي الصلابي.
15. علي محمد ابن سلطان. (2002م). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. بيروت: دار الفكر.
16. محمد ابن اسماعيل البخاري. (1414هـ-1993م). صحيح البخاري (المجلد 5). دمشق: دار ابن كثير.
17. محمد ابن اسماعيل البخاري. (1414هـ-1993م). صحيح البخاري. دمشق: دار ابن كثير.
18. محمد ابن صالح العثيمين. (1426هـ). شرح رياض الصالحين (المجلد دون طبعة). الرياض، المملكة العربية السعودية: دار الوطن.
19. محمد شمس الدين ابن القيم. (1994م). زاد المعاد في هدي خير العباد. بيروت: مكتبة المنار الاسلامية.

